إبراهيم أبراش

خطيئة الإخوان المسلمين في فلسطين

كثيرة هي التساؤلات والمواضيع التي تثير الشك ويكتنفها الغموض عند المواطن العادي بكل ما جرى ويجري ،منذ ظهور المجمع الإسلامي 1973 في غزة بترخيص من الاحتلال ومناوئته لمنظمة التحرير ،ثم ظهور (حركة المقاومة الإسلامية –حماس) إلى الانقسام والانقلاب على السلطة الفلسطينية 2007 ،ونهج حركة حماس ومفاوضاتها حول الهدنة مع إسرائيل وعلاقاتها الملتبسة مع قطر وتركيا وجماعة الإخوان المسلمين الخ .

هذه التساؤلات ستكون مفهومة إذا وضِعت في سياق أن حركة حماس منذ تأسيسها تتصرف باعتبارها امتداد لجماعة الإخوان المسلمين التي فشلت طوال ثمانية عقود وعبر العالمين العربي والإسلامي في تأسيس إقليم-قاعدة أو دولة لتكون منطلقاً لدولة الخلافة المزعومة التي تشمل العالم (الاستاذية) ،فوجدت حركة الإخوان في قطاع غزة ،الذي لا تريده إسرائيل وفصلته عن الضفة كما لا تريده مصر ،وجدت فيه مبتغاها المنشود لتُقيم عليه نواة دولتها بتشجيع أو باستدراج خبيث من واشنطن في سياق سياسة (الفوضى الخلاقة) التي تزامن طرحها مع موافقة حماس على المشاركة في السلطة من بوابة الانتخابات 2004 .

هذا لا يعني أن كل المنتمين لحركة حماس ومؤيديها عبر العالم مشاركون في هذا المخطط ، فكثير منهم انتموا لحماس وأيدوها من منطلق وطني ولأنها ترفع شعار تحرير فلسطين وعدم الاعتراف بإسرائيل ، وبالتالي غير مدركين للعبة السياسية الدموية التي تجري في قطاع غزة وحوله .

لم يكن خطأ حركة حماس أنها مارست المقاومة المسلحة أو الجهاد ،فالمقاومة حق لكل شعب خاضع للاحتلال وسيأتي يوم لن يكون فيه أمام الشعب إلا العودة للمقاومة بكل أشكالها ،بل لأنها مارستها بدون استراتيجية وطنية وفي سياق مناكفة منظمة التحرير ،والأسوأ من ذلك أن حركة حماس وظفت المقاومة المسلحة لخدمة مشروعها الإخواني الذي يهدف لإقامة كيان في قطاع غزة ليكون إقليم /قاعدة للإخوان المسلمين ،وكل الشهداء والجرحى والخراب الذي أصاب قطاع غزة خلال المواجهات والحروب في غزة وعليها كان لتحقيق هذا الهدف ،كما أنها أضفت بعداً دينياً على أعمالها العسكرية حتى تلك التي استهدفت خصومها الفلسطينيين حيث أفتى شيوخها بإهدار دم كل من يخالفها الرأي من رجال وأجهزة السلطة الفلسطينية كما هدرت دم الجماعات الإسلامية المعارضة لها ،كما أنها اليوم تُحرم تُكفر وتُجرم كل من يطلق صواريخ على إسرائيل !.

كما لم يكن خطأ حركة حماس أنها ترفض الاعتراف بإسرائيل وترفض نهج المفاوضات معها ،بل لأنها حاولت من خلال هذا الرفض أن تؤسس مشروعاً بديلاً لمنظمة التحرير وللمشروع الوطني ،وقد اعترفت منظمة التحرير أخيراً بخطأ صيغة الاعتراف المتبادل بين المنظمة وإسرائيل وهناك مطالبات بالتراجع عنه بينما حركة حماس تسعى من خلال وسطاء لإيجاد صيغة توافقية للاعتراف بإسرائيل أو التعايش معها ،وقد أعلن السيد إسماعيل هنية صراحة أن حركة حماس تقبل بدولة فلسطينية في الضفة وغزة .

أيضا دأبت حركة حماس ومن يواليها من الأحزاب على التنديد بالتنسيق الأمني بين أجهزة السلطة وإسرائيل وأن هذا التنسيق يصب في خدمة أمن إسرائيل ويضيق الخناق على المقاومة ،كما تعتبر حركة حماس أن سبب توقف عملياتها الاستشهادية أو الحربية في الضفة والقدس سببه التنسيق الأمني ،ولكن لنا أن نسأل حركة حماس هل أن التنسيق الأمني مسؤول أيضاً عن وقف عملياتها الحربية داخل إسرائيل وانطلاقاً من قطاع غزة ؟! .

على كل من يرفض ويندد بالتنسيق الأمني بين السلطة وإسرائيل ،وهو تنسيق مُدان ومرفوض بالفعل ،أن يرفض ويُندد بالهدنة بين حماس وإسرائيل لأن الهدنة أو التهدئة تعتبر تنسيقاً أمنياً بجدارة ،ولأن الطرفين –حماس والسلطة-يبرران ما أقدما عليه بأنه إجراء اضطراري لتسهيل الحياة على المواطنين ،مع أن إسرائيل فرضت بالهدنة معادلة تهدئة مقابل تهدئة دون أن يتم رفع الحصار أو تخفيفه وتبخرت كل الوعود بهذا الشأن .

حتى وإن كانت حركة حماس تنسق أمنيا ًبطريقة غير مباشرة لأنها لا تعترف بإسرائيل إلا أن نتائج أو مخرجات التنسيق والهدنة واحدة وهي وقف المقاومة . وقف المقاومة مع استمرار الاحتلال واستمرار الانقسام معناه الخضوع والاستسلام لواقع الاحتلال ،وإعلان فشل لكل من يقولون بالمقاومة والتحرير .

عندما ظهرت حركة حماس بداية الانتفاضة الأولى 1987 وعندما قررت خوض الانتخابات التشريعية في يناير 2006 بررت ظهورها وأسست برنامجها الانتخابي على أنها حركة مقاومة إسلامية تشكل البديل لنهج المفاوضات والتسوية السياسية التي سقفها دولة في غزة والضفة ،وأنها ضد التنسيق الأمني وضد الاعتراف بإسرائيل أو التعايش معها الخ ، وهذا ادخلها في تناقضات كشفت المستور ،لأن من يشارك في انتخابات تشريعية إنما يهدف للفوز والوصول إلى السلطة ،وبالفعل وصلت حماس للسلطة وشكلت حكومة لسلطة أوسلو !فكيف تكون سلطة وحكومة وفي نفس الوقت حركة مقاومة إسلامية لتحرير فلسطين ولا تعترف بإسرائيل ؟.

 سقطت حركة حماس كمشروع إسلام سياسي ومن ورائها جماعة الإخوان المسلمين سقوطاً مدوياً ،فلم يتوقف الأمر على فشل مشروعهم للمقاومة المسلحة أو الجهاد بل إنهم فشلوا في المقاومة السلمية وفي العمل السياسي والدبلوماسي كما فشلوا في مسيرات العودة ،كما فشلت في تأمين المتطلبات الحياتية للمواطنين بحيث باتت تستجدي المال من أي كان وبأي ثمن حتى لا ينفرط عقد منتسبيها ومؤيديها ،والأدهى من ذلك أن إسرائيل وظفت حماس كأداة للانقسام وفصل غزة عن الضفة ،والمسؤولية الكبرى عن كل ذلك تتحملها جماعة الإخوان المسلمين وقطر وتركيا ،الذين حملوا حركة حماس وقطاع غزة أكثر من قدرتهم على الاحتمال .

Ibrahemibrach1@gmail.com